الدراسات التاريخية

التدوين في مصر القديمة

الاستاذ الدكتور
عبد الرضا حسن جياد
جامعة القادسية ـ كلية التربية

الباحث
علي عناد عاشور

التدوين في مصر القديمة

الاستاذ الدكتور
عبد الرضا حسن جياد
جامعة القادسية ـ كلية التربية

الباحث
علي عناد عاشور

المقدمة :

الحمد لله والصلاة والسلام على محمد بن عبد الله وعلى اله وصحبه ومن صدق به ومن والاه من يوم مبعثه الى يوم لقياه وبعد ...

تعد الحضارة المصرية من اعرق حضارات الشرق الادنى التي اثبتت للعالم قدرة شعوب هذه المنطقة من استخدام الامكانيات المحدودة اقتصادياً وتسخيرها لتشييد حضارة عملاقة ظلت شامخة رغم عاديات الزمن. يعد الخط المصري القديم هو الاداة التي تمكنت بالسفر عبر هذه العصور الطويلة لتعطينا الخلاصة الفكرية والانسانية التي اوجدتها هذه الحضارة من خلال معرفة افكار تلك الشعوب وكيف ومتى عاشت ولماذا اضمحلت وتلاشت ولولا تدوين المصريين لجميع الاحداث التي مرت بهم لضلت حضارتهم يكتنفها الغموض وكأن لجج التاريخ قد ابتلعتها .

جغرافية وادي النيل

تقع مصر في الجانب في الجانب الشمالي الشرقي من قارة افريقيا وان ابرز مايميز تاريخها هو نهر النيل العظيم مصدر الحياة والخصب بحيث يصح القول مع هيرودوتس المأثور (ان مصر هبة النيل) ، اذ لولاه لأصبحت مصر صحراء جرداء فهي بلد عديم المطر بوجه اساسي لذا يكون النيل وما على جانبيه من الاراضي الضيقة بلاد مصر التي يمكن فيها الحياة والعيش وهيَ وادي اخضر ضيق يعد الحد الفاصل بين الحياة وعدمها [١] . عمل ضيق هذا الوادي على تكاثف قرى الفلاحين وجعل القرية تكون لصق مثيلتها لذا كانت مشكلة ندرة الاراضي الزراعية قائمة منذ القدم اذ تركز عدد كبير من السكان في مساحة زراعية محدودة [٢] .

كان ابرز ما يميز نهر النيل بجريانه في مصر هو فيضانه وموعد هذا الفيضان فعليهما تعتمد حياة مصر وخصبها . يصل نهر النيل الى اخفض مستوى له في شهر ايار ولكنه يبدأ في شهر حزيران بالارتفاع فيما بين اسوان والقاهرة فتظهر عند ذلك كمية كبيرة من المياه الاخضر اللون الذي يظن ان سبب خضرتها يعود الى ما يحمله النهر من كميات كبيرة من الحشائش المائية الدقيقة والبكتريا الخضراء . ثم يرتفع بشكل مفاجئ في شهر تموز ويكون هذه المرة ذو لون احمر بسبب التربة الغرينية التي يجرفها معه من هضاب تنزانيا والحبشة وتستمر مياه النيل بالارتفاع حتى منتصف ايلول حيث يعود ادراجه فيما بعد ذلك حتى تصل الى ادنى مستوياتها في شهر ايلول مرة اخرى لتبدأ بعد ذلك دورته من جديد [٣] .

وعلى هذا النحو يبدو ان النيل منتظم في فيضانه بحيث ان دورته قد تم اعتمادها في التقويم المصري القديم ، ومع انتظام فيضان النيل فأن الفائدة منه لا تتم اذا لم يحافظ على مياه الفيضان اذ ان ماتحمله من الخصب تذهب عبثاً مع النيل الى البحر [٤] .

الاوضاع العامة في مصر القديمة قبل عصر السلالات

تبدأ بداية القصة عن حضارة وادي النيل الى فجر الحياة البشرية حيث بدأ الاستيطان البشري منذ عصور ما قبل التاريخ [٥] .

لقد اسفرت التحريات الاثارية في جنوب مصر وشرقها الى اكتشاف جملة مواقع اثارية تمثل الادوار الحضارية المتعاقبة التي مرت بها هذه المنطقة فقد انتقل انسان النيل الاول بالتنقل من حرفة الى اخرى مع تطور العصور الجيولوجية حتى اهتدى الى الزراعة [٦] .

وبعد مدة ليست باليسيرة بدأت هذه الوحدات السكنية المقامة في حقول الزراعة تتحول الى قرى صغيرة ثم ما لبثت ان تحولت الى امارات ودويلات مدن كثيرة منتشرة في كل مصر العليا والسفلى وقد عرفت هذه الاجزاء السياسية في العصور التالية باسم الولايات او الاقاليم او بالمصطلح اليوناني (نومي او نوموس) هذا ولا يعلم بالتحديد عدد هذه الولايات قبل ان يوحدها (منا) في مملكة واحدة ، لكن عدد هذه الولايات بدأ بالتناقص بسبب الفتح والضم حتى صارت قبيل توحيدها في مملكة واحدة عبارة عن مملكتين هما مصر العليا (المملكة الجنوبية) وعاصمتها (منفس) ومملكة شمالية وهي مصر السفلى وعاصمتها (بوتو) في الدلتا ، وكان رمز المملكة الشمالية (الحية) ، بينما كان رمز المملكة الجنوبية (النحلة) ، وعندما تم توحيد المملكتين في مملكة واحدة اتخذ اول

ملك لقبي المملكتين رمزاهما معاً [٧] ، وهذه هي البداية الفعلية لعهد السلالات المصرية التي قسمها المختصون الى ثلاث عصور هي :- عصر المملكة القديمة و عصر المملكة الوسطى و عهد الامبراطورية .

عصر المملكة القديمة

يقسم هذا العصر الى عهدين يطلق على اولهما اسم بداية السلالات الذي يتضمن السلالة الاولى والثانية والثالثة اما الطور الثاني من هذا العصر فيطلق عليه عصر الاهرام (٢٧٨٠ – ٢٢٧٠ ق.م) ويشمل السلالة الرابعة والخامسة والسادسة [٨] .

بدأت السلالة الاولى مع ظهور ملك قوي استطاع من توحيد شطري مصر العليا والسفلى ويدعى هذا الملك (منا) كما بينا ، وتروي المدونات المصرية القديمة ان مدينة منفس قد بنيت في موضع إستحصلهُ الملك (منا) من النيل وهو ما اكدته الابحاث العلمية من ان نهر النيل قد غير مجراه الى تشرق من اسوان في فترة من فترات التاريخ تتفق مع حكم هذا الملك . ثم ان منفس تطورت سريعاً فصارت عاصمة للبلاد بسبب موقعها الجغرافي الذي يتوسط المملكتين السفلى والعليا [٩] .

لم تعط التنقيبات التي اجريت مؤخراً صورة مفصلة عن طبيعة الحكم ونظم الادارة الا انها كشفت نوعاً ما عن الادارة المركزية والسلطة المطلقة ، وقد وجد في التنقيبات التي اجريت حديثاً في المقابر الكائنة في صقارة عدد كبير من القبور التي تعود الى الموظفين والحج[١]اب والتابعين لبلاط الملك في عهد السلالتين الاولى والثانية [١٠] ، مما يشير الى ان الفرعون كان يتبعه ويساعده في حكومته المركزية عدد كبير من الموظفين المربوطين بالبلاط [١١] ، ومع ان الاقاليم السابقة قد توحدت الا ان الحكومة المركزية سمحت لها بالمحافظة على كياناتها ولكنهم عينوا حكاماً لها يديرونها باسمهم ، وكانت وظائف هؤلاء الحكام تتم بالتعيين وظل الحال كذلك في السلالات الاخرى المتعاقبة فأصبحت وظائفهم وراثية خاصة باسر معينة [١٢] . بدأ ملوك السلالة الاولى يفكرون في طريقة لدفن موتاهم بصورة تضمن عدم تلف اجسادهم فضلاً عن قبورهم فبدئوا يشيدون على قبورهم بناءً ظاهراً فوق الارض مشيداً من اللبن وقد عرف هذا النوع من القبور باسم المصطبة ، وقد وجدت نماذج منها في صقارة يرجع بعضها الى ملوك السلالة الاولى مثل (أخا) [١٣] .

لم يطرأ أي تغيير على نظام الحكم خلال السلالتين الثانية والثالثة كما لم يتغير شيء من التنظيمات الادارية التي اتبعها الفراعنة حتى في طرق دفنهم الا ان الشيء الوحيد الذي تميزت به هذه الفترة ان قبور الفراعنة انتقل عمرانها من

١

مجرد مصطبة مجوفة مبنية من اللبن الى اخرى صلدة مبنية من الاجر غير مجوفة كما ان ملوك هذه السلالات وسعوا من حجرات الدفن تحت المصطبة بحيث صارت تحتوي على مجموعة من الحجرات لخزن الاثاث والاشياء التي كانت تودع فيما مضى في حجرات البناء المجوف الظاهر في قبور السلالة الاولى [١٤] . اما ملوك السلالة الثالثة فقد بدأوا يستخدمون الحجر في قبورهم حتى اقدم احد ملوك هذه السلالة المسمى (زوسر) ببناء جديد هو الهرم المدرج الذي تطور عن المصطبة ثم تطور عن هذا الهرم الهرم الصحيح الذي ظهر في عهد السلالة الرابعة أي في عصر الاهرام [١٥] .

عصر الاهرام

وهو العصر الذي يبدأ بالسلالة الثالثة وينتهي بنهاية السلالة السادسة وسبب هذه التسمية ان ملوك وملكات هذه السلالات قد دفنوا في قبور تقوم فوقها ابنية عالية متفاوتة في الارتفاع تدعى الاهرام اما في العصور التي تلت هذا العصر فأن الكثير من الملوك قد شيدوا اهراماً ايضاً ولكنها ضئيلة الحجم واصبحت مجرد عادة تقليدية تقام قرب القبور وليس لها تلك الميزات الخاصة بأهرام عصر الاهرام كما انها فقدت الكثير من المغزى الديني واصبحت الى جانب صغر حجومها مجرد رموز ثابتة بمثابة شواهد قبور [١٦] . يتميز عصر الاهرام عن غيره من عصور مصر بكونه عصر ازدهار الحضارة المصرية وعنفوانها ونضجها كما انه عهد توطيد الوحدة السياسية والنمو السياسي والسلطان المركزي وسلطة الملوك المطلقة ، فان اساس الحكم كان يقوم على فكرة (الملك الاله) والواقع ان الفكرة من بناء الهرم هي (الوهية الملك) [١٧].

عصر الاقطاع

دام عصر الاهرام قرابة الخمسة قرون (٢٧٨٠ – ٢٢٧٠ ق.م) كانت خلالها المملكة المصرية موحدة تدور ادارتها على سلطة الفراعنة المركزية يساعدهم في ذلك موظفو البلاط ، وكانت طبقة النبلاء والامراء كذلك تقوم عليها ادارة الدولة وهي متعلقة بالفرعون والعرش وتعيش بقصور بجوار بلاط الملك فاذا مات احدهم ودفن قرب قبر ملكه أي بجانب الهرم الكبير [١٨] .

كان الامراء والنبلاء يحكمون المملكة خارج العاصمة ويعين الملك منهم من يعتمد عليه فكانت وظائفهم في بادئ الامر غير وراثية وسلطتهم مستمدة من سلطة الملك لكنهم استقلوا في نهاية عصر الاهرام فانتقلت المملكة من حكومة ذات سلطة مركزية بيد الملك ووزرائه الى حكومة لا مركزية استقل فيها حكام المقاطعات بأقاليمهم فعاد الحال بمصر الى ما كانت عليه قبل عصر الاهرام [١٩] .

دام عهد الاقطاع زهاء ١٧٠ سنة ، وشمل حكم اربع سلالات هي السابعة والثامنة والتاسعة والعاشرة ، انتهى هذا العصر سنة (٢١٠٠ ق.م) بعد ان قام احد قادة الجيش من توحيد جميع المقاطعات مرة اخرى مؤسساً بذلك السلالة الحادية عشر والثانية عشر التي يطلق على عهدها عصر المملكة الوسطى والتي كان من اهم منجزاتها ظهور الجيوش المنظمة التي ساعدت على توسع مصر باتجاه بلاد الشام ، كما شهدت هذه الفترة ظهور الاله (أمون) كما تطورت في هذه الفترة بعض العلوم وخاصة التشريح والطب والفلك وغيرها [٢٠] .

انتهى عصر المملكة الوسطى بمجيء مجموعة من الملوك الضعفاء في نهاية عهد السلالة الثانية عشر الذين لم يستطيعوا الحفاظ على وحدة البلاد السياسية ازاء تنافس موظفي الدولة وقادة الجيش الذين اخذوا يتدخلون في الشؤون السياسية .

دخلت مصر بعد عهد المملكة الوسطى مرحلة من الفوضى والاضطراب مرة اخرى شملت السلالات (١٣ – ١٧) وهي فترة سيطرة الهكسوس [٢١] .

اختلف الباحثون حول اصل الهكسوس فمنهم من يرى انهم من الاقوام الهندوأوربية التي كانت تسكن في جبال القوقاز وتركت موطنها الاصلي في منتصف الالف الثاني واتجهوا الى مناطق مختلفة بسبب المنافسة بينهم مما اضطرهم الى الهجرة فمنهم من اتجه الى روما ومنهم من اتجه الى ايران ومنهم من اتجه الى بلاد الاناضول ومنهم من اتجه الى بلاد الشام وشرق البحر المتوسط وهم الهكسوس الذين انحدروا فيما بعد الى مصر [٢٢] .

بينما يرى اصحاب الراي الثاني انهم خليط من الشعوب التي كانت تقطن منطقة شرق البحر المتوسط .

اما اصحاب الراي الثالث فيرون انهم اقوام كانوا يسكنون براري اسيا و أوربا ثم نزحوا الى بلاد مصر في منتصف الالف الثاني قبل الميلاد .

كانت مصر في عهد الهكسوس مقسمة الى ثلاثة اقسام سياسية وهيَ :-

القسم الاول :-

غرب الدلتا والتي كانت تحت سيطرة السلالة الرابعة عشر وكانوا تابعين للهكسوس .

القسم الثاني :-

منطقة شرق الدلتا التي اسس فيها الهكسوس دولتهم .

القسم الثالث :-

تشمل ما تبقى من مصر العليا سيطرة عليها سلالة طيبة وهي سلالة مصرية لكنها كانت في نفس الوقت تؤدي الجزية الى الهكسوس الا انها تمردت فيما بعد ودخلت في نزاع مع الهكسوس انتهى بطردهم بشكل نهائي الى بلاد الشام في

عهد الملك احمس الاول مؤسس المملكة المصرية الحديثة [٢٣] .

المملكة المصرية الحديثة

قام بتأسيس هذه المملكة الملك احمس الاول وهو اول ملك من السلالة الثامنة عشر التي ينتمي لها مجموعة من الملوك الذين كانت لهم ادوار عسكرية تمكنوا من خلالها بسط نفوذهم على بلاد الشام وصولاً الى نهر الفرات .

بدأ عصر انحلال المملكة المصرية الحديثة بوصول مجموعة من الملوك الضعفاء الذين تدهورت مصر في عهدهم حتى وصلت الى حالة الفوضى والاضطراب.

مصر في الفترات المتأخرة (فترات الاحتلال الاجنبي) من السلالة (٢٠ – ٣٠) [٢٤]

انتهى عهد الملوك الاقوياء الذين خلدوا ذكرهم في الحجر فغدت مصر كالكرة تتناولها القوى المتصارعة عليها من النوبة واشور ومقدونيا وبعض القبائل الليبية والأخمينين وغيرها كما ازدادت في هذه الفترة سيطرة الكهنة ورجال الدين مقابل سلطة الملك حتى اقدم بعضهم على تأسيس سلالات او اسر حاكمة ومن بينها السلالة الخامسة والعشرون التي كانت تابعة سياسياً الى النوبة . ثم توالت على مصر الهزائم العسكرية والسياسية حتى خضعت للفرس الأخمينيين ومن بعدهم خضعت مصر للسيطرة المقدونية التي دامت قرابة ثلاثة قرون ونصف لتنتهي بسيطرة الرومان عليها سنة (٣٠ ق.م) [٢٥] .

الديانة

تحدثت المصادر التاريخية بإسهاب عن الديانة المصرية الا ان الكثير من تفاصيلها لا يزال يكتنفه الغموض سيما اصل الالهة وعلاقة بعضها ببعض وصفاتها ووظائفها واختلاف ذلك بحسب عصور الحضارة المصرية .

من الامور الهامة التي تميز هذه الديانة هو تعدد الالهة وكثرتها على نحو يفوق حضارات العالم القديم الاخرى كما ان مراكز الالهة كانت تتغير في اهميتها مع التبدلات السياسية بالنسبة الى السلالات المختلفة ومراكز حكمها وكثيراً ما عمد الكهنة الى التوفيق بين وظائف الالهة ومطابقتها ببعضها البعض فتندمج على هذا النحو جملة من الالهة في اله واحد يتركب اسمه من اسماء تلك الالهة مثل (اتوم – رع) ولكن مع ذلك لم يصل المصريون الى فكرة التوحيد الخالصة الا في عهد الفرعون (اخناتون) الذي حاول توحيد الهة مصر باله واحد الا ان هذا المشروع قد توقف بعد وفاته فعادت مصر الى الوثنية مرة اخرى [٢٦] .

وكان الكهنة هم المنظمين للمعتقدات الدينية وفق لاهوت رسمي وبإمكاننا ارجاع الديانة الرسمية وتثبيتها الى عصر الاهرام [٢٧] .

ان المتفق عليه في اصل الالهة المصرية انها في اصلها من القوى الطبيعية المهمة التي كانت ذات اثراً مهماً في حياة سكان وادي النيل الاقدمين ثم انهم جسموا وشخصوا هذه القوى فيما بعد ثم عبدوها على هيئة الهة فهي على الرغم من كونها كالبشر من ناحية الصفات الروحية والجسمية ولكنها اعلى واسمى من الانسان فبيدها القدرة ومصير الكون والطبيعة والانسان كما انها تتصف بالخلود بشكل عام .

وبشكل عام يمكن ارجاع اصل الالهة المصرية الى ثلاثة مصادر رئيسية وهيَ :-

١. القوى المستمدة من الشمس
٢. القوى المستمدة من الارض
٣. القوى المستمدة من بعض الحيوانات [٢٨]

ثم ان الحضارة المصرية نبغت في مجالات شتى من طب وفلك ورياضيات وادب وسحر وغيرها مما يضيق المقام لإيرادها فقد ترك المصريون تراث ضخم زينوا به جدران المعابد والمقابر وقصور الملوك وهم يتحدثون به عن امور شتى بعضها سياسية والبعض الاخر دينية وعلمية بحتة .

ان هذا التراث العظيم لا يمكنه ان يصل الينا بهذا القدر لو لم يتأتى للمصريين اتباع طريقة تحفظ افكارهم لينقلوها من جيل الى اخر وهذه الطريقة لا يمكن ان تتم الا عن طريق التدوين فقد اتبع المصريون نظاماً معقداً في التدوين قسموا فيه النصوص المدونة الى نصوص مقدسة واخرى ليست كذلك فاتبعوا في تدوين النصوص المقدسة نوع من انواع الخطوط وهو الخط الهيروغليفي الذي عُرِفَ ايضاً بالخط المقدس اما باقي النصوص فقد ثرِكت لخطوط اخرى اقل شأناً والتي منها الخط الهيروطيقي والخط الديموطيقي كما سنرى في المبحث الثاني .

نشأة التدوين في مصر القديمة

لقد مر الانسان في عصور ما قبل التاريخ بمرحلتين اساسيتين هما : جمع القوت وانتاج القوت واما المرحلة الاولى فهي المرحلة التي كان الانسان فيها يسعى باحثاً عن قوت يومه فكان يخرج للصيد البري او النهري او البحري عله ينجح في اصطياد حيوان او طائر وفي هذه المرحلة كان على الانسان ان يعيش متنقلاً من مكان الى اخر يبحث عن مأوى هنا او هناك في وقت لم يكن لهُ من ملبس ليستر به عورته ويقي به نفسه حرارة الصيف وبرودة الشتاء .

كان اكتشاف الزراعة بمثابة الاستقرار الفعلي للإنسان الذي ارتبط بفيضان النيل ليستثمر اعقاب مياهه في زراعة المحاصيل ، فأقام مسكنه بالقرب من حقوله الزراعية وصنع لنفسه ملابس من الكتان ثم بدأ يتجمع مع ابناء جنسه في مجتمعات متفاوتة في الحجم تبادلت

المصالح فيما بينها ثم ان الانسان انتقل من مرحلة الاشباع المادي الى مرحلة الاشباع الفكري و الذهني والى التفكير في خلق الكون وفيما يجري من حوله وبدأ يفكر في القوى الكونية المحيطة به ولاحظ ان الشمس تشرق ثم تغرب ثم تشرق من جديد وان القمر يسطع ثم يختفي ثم يضيء من جديد وان النبات ينمو ثم يحصد ثم ينمو من جديد . هذه الدورة للشمس والقمر والنبات والنيل هي التي اوحت له بالقطع بحياة ما بعد الموت . بمعنى انهُ يحيى لفترة مؤقتة ثم يبعث من جديد لابد الآبدين [٢٩] .

وفي ظل هذا الاستقرار الذي شهده والنضوج الفكري الذي وصل اليه وعندما تعددت انشطته اليومية كان على الانسان ان يتبنى وسيلة للتعبير عن افكاره وتسجيل احداث حياته اليومية ولعل ايمانه بحياة ما بعد الموت جعله يسعى للحفاظ على الجسد لكي تتعرف عليه الروح وتدب فيه ومن بين وسائل الحفاظ على الجسد وضمان خلود الانسان اسمه الشخصي الذي كان لابد من تسجيله على جدران مقبرته وعلى تمثاله وعلى اثاثه الجنائزي وغيره [٣٠] .

اشار المصريون القدماء في نصوص الى لغتهم بمسميات كثيرة منها (لسان مصر) و (فم مصر) و (كلام مصر) و (كلام اهل مصر) كما عرفت ايضاً بأسم (كلام الاله) و (الكلام المقدس)

كتبت هذه اللغة بخطوط اربعة هيَ : الهيراطيقي و الهيروغليفي و الديموطيقي والخط القبطي .

تتسم اللغة المصرية بشخصية مميزة هي الاستمرار بتمييز مصر ارضاً وشعباً وتمثل هذا التمييز باحتوائها على مبادئ نحو وصرف اختلفت بها عن غيرها من لغات العالم القديم ، ورغم هذا التميز ولان مصر كانت حضارياً وجغرافياً عضواً في جسد الشرق الادنى القديم وذات صلات متفاوتة مع جزر البحر المتوسط وشمال افريقيا وبحكم الانفتاح الحضاري الانفتاح الحضاري الناتج عن علاقات تجارية او عسكرية لمصر مع جيرانها كان لابد من ان تدخل اللغة المصرية القديمة في دائرة التأثير المتبادل ومن ثم فقد تضمنت قواعد ومفردات تشير الى قيام علاقات قوية مع جيران مصر من الساميين والحاميين [٣١]. ولان اللغة المصرية عندما تذكر تُذكر معها الكتابة الهيروغليفية كأقدم كتاباتها واكثرها خلوداً لذلك فلابد من الكلام عن تاريخ هذا الخط وخصائصه المتميزة .

بداية ظهور الخط الهيروغليفي

اختلف الباحثون في بداية ظهور الخط الهيروغليفي ومكان ظهوره فبالنسبة الى الاشكال الاولى فقد اجمع الباحثون على ان بداية هذا الخط تتفق مع ظهور اول سلالة مصرية حكمت مصر .

الا ان مكان ظهور هذا الخط بقي محل اشكال ، فهل بدأت المحاولة في مكان بعينه ثم اخذت تنتقل بالتدريج الى اماكن اخرى ؟ ام انها انطلقت من اكثر من مكان في وقت واحد .

ان الارجح والمنطقي ان تكون البداية قد جرت في مكان بعينه وبعد التوصل الى بعض الاساسيات اخذت الفكرة تنتقل الى جهات اخرى لعلها قبلت ريادة المنطقة التي بدأت منها الكتابة واعملت فيها فكرها .

واذا كانت فكرة الانطلاق قد حدثت في مكان ما فهل يمكن من خلال ما نعرفه من تاريخ مصر القديمة وحضارتها وعن الادوار التي لعبتها بعض المناطق والتي تمثل ثقلاً دينياً او دينياً . فهل يمكن ان نحدد اين بدأ التدوين .

ربما نستطيع ان نشير الى بعض المناطق (في شمال البلاد و وسطها وجنوبها) ذات الثقل الفكري على امتداد التاريخ المصري القديم او في فترة محددة منه ، فهناك مدينة العلم والثقافة والفكر الديني (هيلوبوليس – عين شمس) والتي كانت تعرف باسم (اون) مركز عبادة الشمس ومنبع نظرية هامة من نظريات التصور المصري القديم عن خلق الكون (نظرية التاسوع) التي تعد محط انظار الفلاسفة ورجال العلم من بلاد اليونان [٣٢] .

وهناك مدينة منف العظيمة اقدم العواصم المصرية (تقع حالياً بمحافظة الجيزة) مركز عبادة الاله (بتاح) احد اهم الالهة المصرية ومصدر احدى نظريات خلق الكون [٣٣] .

ثم هناك في مصر الوسطى في محافظة المنيا وبالتحديد قرية (الاشمونيين) مركز (ملوي) كانت مركزاً لعبادة الاله (جحوي) اله الحكمة والمعرفة ومنها خرجت ايضا احدى نظريات الخلق (نظرية الثامون) [٣٤] . ثم هناك في صعيد مصر وفي منطقة ابيدوس (العرابة المدفونة (محافظة سوهاج) حيث المركز الرئيسي لعبادة اله الخير ورب العالم الاخر (أوزير) [٣٥] .

وفي سوهاج ايضاً منطقة (ثني) او (طينة) التي يُظن انها قرية البربا (مركز جرجا – محافظة سوهاج) والتي خرج منها الملك (تعرمر) واسرته لتوحيد قطري مصر السفلي والعلوي [٣٦] .

وعلى بعد ٢٠ كم شمال (ادفو) نجد في شرق وغرب النيل مدينتي (نخب) و (نخن) عاصمتي الجنوب قبل توحيد مصر ومركز عبادة الالهة ذات الشأن الكبير في العقائد المصرية الالهة (نخبت) [٣٧] . وعودة الى شمال البلاد الى قرية بوتو (ابطو – تل الفراعين – محافظة كفر الشيخ) عاصمة مصر قبل توحيد القطرين ومركز عبادة احدى الالهات البارزات في مصر القديمة وهي الالهة (واجيت) [٣٨] .

ثـم هنـاك الكثيـر مـن المواقـع التـي شـهدت حضـارات مـا قبـل التـاريخ والتـي مهدت لتـاريخ مصـر المكتـوب مثـل حلـوان والمعـادي وجـرزة والفيوم والبداري وديركاسا ونقادة وغيرها في من هذه الاماكن بدأت الكتابة المصرية ؟ . سؤال سيظل بلا اجابة محددة حتى تخرج لنا ارض مصر الكثير من الادلة التي لاتزال في باطنها [٣٩] .

خطوط اللغة المصرية القديمة

كُتبت اللغة المصرية القديمة بخطوط اربعة هيَ : الهيروغليفي والهيراطيقي والديموطيقي والقبطي وهي خطوط لم تظهر كلها في وقت واحد وانما جاءت في اطار تتابع زمني يعبر عن الامتداد الزمني الطويل الذي عاشته اللغة المصرية القديمة ويعبر في نفس الوقت عن النضج الفكري للإنسان المصري القديم والذي ادرك ان متطلبات الحياة قد تتطلب بين الحين والاخر تناسقاً بينها وبين الاداة المعبرة عن اللغة وهيَ (الكتابة) ، ولان الخط الهيروغليفي – خط العلامات الكاملة – هو اقدم الخطوط المصرية واطولها عمراً واكثرها وضوحاً وجمالاً فقد لجأ المصري في بعض المراحل الزمنية الى تبسيطه وقد تمثل ذلك بالخط الهيراطيقي ثم لجأ الى تبسيط اخر في مرحلة ثانية وتمثل ذلك بالخط الهيراطيقي ثم لجأ الى تبسيط اخر في مرحلة ثانية وتمثل ذلك بالخط الديموطيقي الامر الذي يعني ان هناك علاقة خطية واضحة بين الخطوط الثلاثة [٤٠] . اما الخط الرابع وهو الخط القبطي فقد كُتِبَ بالأبجدية اليونانية مضاف اليها سبع علامات من الكتابة المصرية القديمة في شكلها الديموطيقي لم يتوفر نطقها في العلامات اليونانية ، ولعل من المناسب ان نصحح خطأً شائعاً فيما يتعلق بما يسمى اللغة المصرية القديمة فالشائع ان يشار اليها باللغة الهيروغليفية فالهيروغليفية خط وليس لغة ويمكن مقارنة ذلك باللغة العربية فهي لغة واحدة كُتبت بعدة خطوط النسخ والكوفي والرقعة والثلث وغيرها فلا يصح ان نقول اللغة الكوفية او لغة النسخ او لغة الرقعة وكذلك الحال مع اللغة المصرية وخطوطها .

أنواع الخطوط المصرية القديمة

١- الخط الهيروغليفي

اشتقت تسميته من الكلمتين اليونانيتين (هيروس) و (جلوفوس) وتعنيان الكتابة المقدسة او النقش المقدس اشارة الى انها كانت تنقش على جدران الاماكن المقدسة كالمعابد والمقابر .

كانت الكتابة المنقوشة تنفذ باسلوب النقش البارز او الغائر على جدران الاثار الثابتة (المباني) او على المنقولة (التماثيل او اللوحات او غير ذلك من النصب الحجرية) [٤١] .

٢- الخط الهيراطيقي

اشتقت كلمة هيراطيق من الكلمة اليونانية (هيراتيكوس) وتعني كهنوتي اشارة الى ان الكهنة كانوا اكثر الناس استخداماً لهذا الخط حيث ان نسبة كبيرة من النصوص الهيراطيقية وخاصة في العصور المتأخرة هي نصوص دينية كتب معظمها بواسطة الكهنة [٤٢] .

يعد الخط الهيراطيقي تبسيط للخط الهيروغليفي او بمعنى اخر اختصار له ولعل المصريين القدماء قد توصلوا الى هذا الخط لأسباب عديدة منها ان الخط الهيروغليفي لا يتناسب مع طبيعة النصوص الدنيوية والدينية التي ازدادت بازدياد حركة الحياة والت تطلبت خطاً سريعاً كما تطلبت مواد كتابية لا يصلح معها الا الخط السريع مثل البردي وعلى عكس الخط الهيروغليفي الذي يتناسب اكثر مع المنشأة الضخمة حيث كان ينقش بالأزاميل وام خط الهيراطيقي فقد كان يكتب بقلم البوص والحبر [٤٣] .

٣-الخط الديموطيقي

اشتق اسم هذا الخط من الكلمة اليونانية (ديموس) أي شعبي ولا يعني هذا الاسم الربط بين الخط وبين طبقات الشعب في مصر القديمة وانما هو خط المعاملات اليومية ويمكن ان نقارنه بخط الرقعة في اللغة العربية ويمثل الخط الديموطيقي الذي ظهر منذ القرن الثامن قبل الميلاد واستمر حتى القرن الخامس الميلادي المرحلة الخطية الثالثة بعد الهيروغليفي والهيراطيقي وجاء ظهور هذا الخط نتيجة لتعدد الانشطة وكثرة المعاملات وخصوصاً الادارية منها والتي تحتاج الى سرعة في الانجاز وقد كُتِبَ هذا الخط على مادة البردي [٤٤] .

٤-خط اللغة القبطية

يعبر هذا الخط عن المرحلة الاخيرة من مراحل اللغة المصرية القديمة وكلمة قبطي مشتقة من اليونانية وتعني مصري اشارة الى ربط الخط بالشعب الذي عاش على تلك الارض في تلك المرحلة ولان القبطية هي الصدى الاخير للغة المصرية القديمة فهي تمثل اهمية لغوية خاصة من حيث استخدام حروف الحركة لاول مرة في خط من خطوط اللغة المصرية الامر الذي ساعد الى حد كبير في التوصل الى اقرب نطق صحيح للغة المصرية القديمة .

ومن الاسباب التي اوجدت هذا الخط فانه يمكن القول بان المصريين اظطروا لاسباب عملية تتمثل في وجود اليونانيين (الغزاة) دفعتهم الى ان يبحثوا عن خط يسهل لهم وسيلة التفاهم معهم فاختاروا الابجدية اليونانية لكي يعبروا عن اصوات اللغة المصرية حفاظاً على لغتهم الا انهم اضافوا اليها سبع علامات مأخوذة من الخط الديموطيقي لكون ليس لها ما يماثلها من الاحرف اليونانية [٤٥] .

العصور التي مرت بها اللغة المصرية القديمة

ينقسم التاريخ المصري القديم الى ثلاثين اسرة وهو تقسيم وضعه المؤرخ المصري القديم (مانيثون) الذي كتبَ تاريخ مصر باليونانية بتكليف من الملك البطلمي (بطليموس) الثاني (حوالي ٢٨٠ ق.م) ووضع المؤرخون المحدثون هذه الاسرات في اطار عصور تاريخية كعصور الدولة القديمة او الوسطى والحديثة [٤٦] .والى جانب العصور التاريخية هناك عصور لغوية فقد كان من نتاج هذا الامتداد الزمني الطويل للغة المصرية القديمة حدوث تغييرات في النحو والصرف وقواعد الهجاء وفي المخصصات والقيم الصوتية ومن خلال الدراسات التي قام بها المتخصصون في اللغة المصرية القديمة امكن تقسيم اللغة الى عصور يتميز كل عصر منها بخصائص لغوية معينة وهذه العصور هيَ :-

١- اللغة في العصر القديم

وهي مرحلة وضع اللبنات الاولى من اللغة المصرية القديمة وبدأت منذ الاسرة الاولى واستمرت حتى منتصف الاسرة الثامنة وتقابل هذه المرحلة من الناحية التاريخية العصر العتيق (الاسرتان الاولى والثانية) وعصر الدولة القديمة والاسرتين السابعة والثامنة من عصر الانتقال الاول وتبدو نصوص هذه الفترة اللغوية واضحة في اثار الدولة القديمة وفي نصوص الاهرام [٤٧] .

٢- اللغة في العصر الوسيط

ظهرت خصائص هذه المرحلة اللغوية في الفترة من منتصف الاسرة الثامنة واستمرت حتى منتصف الاسرة الثامنة عشرة وتمثل هذه المرحلة مرحلة النضج الكامل بالنسبة للغة المصرية القديمة وقد غطت تاريخياً بعض الاسرات من عصر الانتقال الاول وعصر الدولة الوسطى وعصر الانتقال الثاني وبداية الدولة الحديثة [٤٨] .

٣- اللغة في العصر المتأخر

تبدو هذه المرحلة اللغوية واضحة في نصوص الاسرات منذ النصف الثاني من الاسرة الثامنة عشر وحتى الاسرة الخامسة والعشرون أي تشمل تاريخياً الدولة الحديثة والعصر المتأخر [٤٩] .

٤- مرحلة الديموطيقي

وهي مرحلة بدأت منذ القرن الثامن قبل الميلاد واستمرت واستمرت حتى القرن الخامس الميلادي وهي مرحلة لغوية وان كتبت بخط مختلف هو الخط الديموطيقي [٥٠] .

٥- مرحلة القبطية

وهي مرحلة لغوية بدأت منذ القرن الثالث الميلادي تقريباً وانتهت رسمياً وليس فعلياً بدخول الاسلام الى مصر سنة ٦٤١ هـ حيث بدأت بعدها بالتدريج اللغة العربية وان استمرتا معاً لفترة طويلة [٥١] .

أ-جهود العلماء العرب في فك رموز الكتابة المصرية القديمة

لقد بينت مدى اهتمام بعض العلماء المسلمين العرب بالكتابة المصرية القديمة من خلال المخطوطات التي تركوها لنا والتي تكشف عن طبيعة المحاولات التي قاموا بها ، وهي محاولات كشف عنها بعض المستشرقين الاوربيين مثل المستشرق النمساوي (جوزيف همرفون برجستال) عام ١٨٠٦ بمدينة لندن حيث قام بنشر النص العربي مع ترجمة بالإنكليزية لكتاب (ابن وحشية) (شوق المستهام في معرفة رموز الاقلام) والذي يؤرخ للقرن التاسع الميلادي [٥٢] .

وفي عام ١٩٠٩ نشر (بلوشيه) مجموعة من المقالات حول مذهب العارفين بالله والتي اشار فيها الى نجاح بعض العلماء العرب في التعريف على بعض العلامات الهيروغليفية [٥٣] .

لقد ابدى بعض العلماء في العصر الاسلامي اهتماماً كبيراً بالخط الهيروغليفي وخاصة علماء الكيمياء الذين تصوروا ان اللغة المصرية القديمة تحمل الكثير من اسرار الكيمياء وخصوصاً تحويل المعادن العادية الى معادن نفيسة .

أبدا علماء الصوفية نفس الاهتمام بالكتابات المصرية القديمة اعتقاداً منهم في ان غموض العلامات المصرية القديمة يتطلب جهداً للكشف عنه .

لقد كان علماء العرب على دراية بالصور المختلفة للعلامات المصرية القديمة فالعلامة (ابن الفاتك) يشير الى معرفة بيثاجورس بخطوط اللغة المصرية القديمة ، خط العامة (الديموطيقي) و خط الكهنة (الهيراطيقي) و خط الملوك (الهيروغليفي) [٥٤] .

واذا اردنا القاء الضوء على جهود بعض العلماء العرب الذين حاولوا فك رموز الكتابة المصرية القديمة فيأتي على رأسهم عالم الكيمياء (جابر بن حيان) الذي ضمن كتابيه (كشف الرموز) و (الحاصل) محاولات لقراءة بعض رموز الكتابة الهيروغليفية [٥٥] .

ثم هناك العالم المصري (ايوب بن مسلمة) الذي صحبه الخليفة (ابو العباس المأمون) خلال زيارته لمصر ، وقد ورد انه تمكن من قراءة بعض النقوش المصرية القديمة . ومن ابرز العلماء العرب في قراءة الكتابات المصرية القديمة (ذو النون المصري) الذي ولِدَ باخميم (احدى مدن محافظة سوهاج) وذكر انه كان يجيد قراءة النصوص التي سجلت على جدران المعابد واهم مؤلفاته في هذا المجال كتابه (حل الرموز) و (برأ الارقام في كشف اصول اللغات والاقلام) والذي تضمن دراسات للكثير من الخطوط القديمة من بينها الهيروغليفية وقد ورد في بعض صفحات هذا العمل بعض

العلامات الهيروغليفية مصحوبة بالقيمة الصوتية كما تصورها [٥٦] .

كما اشتهر ابن وحشية النبطي من اهل العراق من المشتغلين بالكيمياء وصاحب كتاب (شوق المستهام ومعرفة رموز الاقلام) الذي اشرنا اليه والذي نشر نصها العربي مع ترجمة انكليزية المستشرق النمساوي (جوزيف همرفون) التي ظهرت في لندن عام ١٨٠٦م أي قبل ان يعلن العالم الفرنسي شامبليون عن اكتشاف الكتابة الهيروغليفية عام ١٨٢٢ م .

ولعل اهم ما توصل اليه ابن وحشية هو معرفته للقيمة الصوتية لعدد من العلامات الهيروغليفية وتوصله الى ان العلامات التي ترد في نهاية الكلمات هي بمثابة مخصصات تساعد على تحديد معاني المفردات وقد ثبت صحة بعضها [٥٧] .

وكذلك اشتهر العالم العراقي (ابو القاسم العراقي المصري) صاحب كتاب (الاقاليم السبعة) الذي تضمن نسخاً لبعض النصوص المصرية القديمة كما تضمن جدولاً للحروف البرباوية (الهيروغليفية) جاءت قراته لبعضها صحيحة [٥٨] .

كما ابدى المقريزي اهتماماً كبيرا بالخط الهيروغليفي واورد ترجمة لبعض النصوص المصرية القديمة وتمكن من وصف الاثر الوارد عليه النص وصفاً علمياً دقيقاً لا يقل كثيراً عن القواعد المتبعة حالياً في نشر مثل هذه النصوص [٥٩] .

لقد ان الاوان لكي الضوء على جهود علماء مسلمين عرب اجلاء حاولوا في زمنهم منذ عدة قرون مضت لن يبرزوا الاهتمام بالكتابة المصرية القديمة من خلال لفت الانظار اليها والى الاثار التي سُجلت عليها وانما حاولوا كذلك استنطاقها ليتعرفوا على شيء من حضارة الاسلاف في مصر القديمة فبذلوا الجهد الاكبر مدونين للنقوش ومحاولين معرفة دلالاتها الصوتية ومعانيها ودورها الوظيفي ففتحوا بذلك الباب للمستشرقين من بعدهم لينهلوا من معين عملهم وليبدئوا من حيث انتهوا الى ان تكلل جهد الجميع بما توصل اليه شامبليون الذي سنتكلم عنه لاحقاً .

ب- جهود المستشرقين في فك رموز الكتابة المصرية القديمة

انقطعت صلتنا بالهيروغليفية منذ اكثر من ثلاثة عشر قرناً حتى حدثت حركة احياء العلوم في أوربا فكتب احد اليسوعيون وهو الاب (اثناسيوس كيرشر) في عام ١٦٣٦م رسالة عن اللغة القبطية اثارت الاهتمام بين العلماء الاوربيين فهو اول من قال عن اللغة القبطية انها نفس اللغة المصرية القديمة المكتوبة بأحرف يونانية [٦٠] . وهي نظرية صحيحة الا انه اخطأ بعد ذلك عندما اتبع (هيروليون) الذي زعم ان

اللغة المصرية القديمة معاني وليست اصوات فبدأ في حلها وبناءً على هذا ارأي الخاطئ فسر الكلمة المصرية القديمة التي تعني باليونانية (اوتكراتو) وبالعربية المستبد بالعبارة الاتية (اوزير اصل الخصب والنبات وهو القوة الخالقة الاتية من السماء) [٦١] .

وفي اواخر القرن الثامن عشر تم العثور على (برديات) اظهرت خطأ اعتقاد الاب (اثناسيوس) الذي اعياه البحث عن وجود مصاديق لنظريته بمقابلة الحروف الهيروغليفية بالحروف القبطية . ان للغة المصرية القديمة حروفاً متممة أي غير صوتية وتم التوصل اخيراً الى ان علاقات هذه اللغة صوتية ولها حروف يجب الوصول الى معرفتها [٦٢] .

يعتبر الحادث الذي كان له اكبر الاثر على دراسة اللغة المصرية القديمة هو الاكتشاف الذي توصل اليه بعض الجنود الفرنسيين عام ١٧٩٩ عند حفرهم اساس قلعة في الرشيد فعثروا على حجر من البازلت المنقوش عليه كتابات بخطوط متعددة فادرك الجنود اهمية هذا الحجر منذ اللحظة الاولى وقد كانت الخطوط عبارة عن نصوص كتبت بثلاثة خطوط وهي من الاعلى :- نص كتب بالخط الهيروغليفي ، وفي وسط الحجر نقش كتب بالخط الديموطيقي وبالأسفل نصاً كتب باللغة اليونانية [٦٣] .

وصف الحجر

حجر رشيد هو حجر من نوع البازلت الاسود عثر عليه خلال حفر خندق حول قلعة سان جوليان بالقرب من الرشيد وقد حاول الفرنسيون ان يخرجوا به من مصر الا ان هزيمتهم في ابي قير ادت الى انتقال الحجر الى المتحف البريطاني بلندن [٦٤] .

يحتوي الحجر على اربعة عشر سطراً من الجهة العليا كتب بالخط الهيروغليفي ام الخط الديموطيقي فيقع نصه في اثني وثلاثون سطراً تشغل منتصف الحجر اما عدد السطور التي كتبت في اسفل الحجر باللغة اليونانية فيبلغ عددها اربع وخمسون سطراً [٦٥] .

بدأت محاولات قراءة تلك النقوش منذ عام ١٨٠٢ م حيث بدأت الكتابات التي على الحجر تستوي وتجذب الجميع مكن مختلف التخصصات فالى جانب المتخصصون فغي الدراسات القديمة نجد علماء اخرون لفي الرياضيات والطبيعة والسلك الدبلوماسي ورجال الدين واللاهوت ورجال الدين وغيرهم كثيرون [٦٦] .

وهذه الكتابات التي على الحجر كانت في الحقيقة قراراً للكهنة المصريين اصدروه عام ١٩٦ ق.م ليشكروا فيه الملك بطليموس على اعفائه معابدهم من ضرائب فرضها اسلافه عليها [٦٧] .

بعد ترجمة الكتابات المنقوشة على حجر الرشيد توضح ان لها مدلولان اولهما: ان كاتب الحجر تعمد ان يجعل كتابته الهيروغليفية المقدسة في اعلى الحجر وسجل كتابته الديموطيقية في وسطه اما الكتابة اليونانية وهي لغة الملك البطلمي فقد جعلها اسفل الحجر وذلك يعني ان عجز المصريين ازاء حكامهم البطالمة الاجانب لم يمنعهم من ان يلتمسوا كل سبيل يعبر عن قوميتهم الدينية وينتقم لكرامتهم المغلوية على امرها [٦٨] . اما الحقيقة الثانية : فتتمثل في ان الكهنة المصريين لم يمنعهم ثناءهم على الملك البطلمي الاجنبي من ان يوضحوا في سياق شكرهم ان مافعله الملك معهم لم يروا فيه اثابة وانما هو تسليم بما يأمر به العرف الواجب والقانون [٦٩] .

سمح اكتشاف حجر الرشيد بحل رموز اللغة المصرية القديمة وكانت الخطوة الاولى قد اتخذها الدبلوماسي السويدي (اكربلاد) الذي ركز جهده وتفكيره على الكتابة المختصرة المنقوشة في الوسط تحت الهيروغليفية مباشرةً مدركاً انها الديموطيقية التي اشار اليها (هيرودوتس) في كتابه الثاني عن مصر وبعد ان تأكد عن طريق المقارنة باللغة اليونانية من مكان اسماء الاعلام استطاع ان يميز حوالي نصف حروف الهجاء وان يتأكد كذلك من ان اللغة المستعملة هي نفسها التي استمرت بعد ذلك تحت اسم القبطية ، وقد نشر (اكربلاد) مقالة عن جهوده هذه في عام ١٨٠٢ م [٧٠] .

اهتم العالم الفرنسي (سلفستر ديساسي) باللغة الديموطيقية وقال انها كتابة عامية وحروفها هجائية وليست تمثيلية فوضع ابجدية لها خمس وعشرون حرفاً وقد ساعدته اللغة القبطية على قراءة اسماء (بطليموس) و (برينيس) و (اسينوي) المنقوشة بالخط الديموطيقي [٧١] .

لم تبذل جهود بعد هذه المحاولات حتى عام ١٨١٤ م فقد جاء عالم الفيزياء توماس يانج الذي لاحظ تكرار الكثير من الكلمات في اللغة اليونانية ومطابقتها مع النصين الاخرين واستطاع ان يقرأ بعض اسماء الاعلام مثل اسم الملكة (برنيتي) بالإضافة الى اسم (بطليموس) وبعض الاسماء الاخرى ولكنه لم يميز حروفها تماماً ولم يهتدي لقراءة الاسماء الاخرى مثل (كاجرت) و (اتوكراتور) بل التبس عليه الامر واعتمد توماس يانج في قراءة الاسماء الملكية على نصوص اخرى مشابهة كالمسلة التي عثر عليها في (فيلة) عام ١٨١٥ م والتي تضمنت نصاً باليونانية واخر بالهيروغليفية [٧٢] ، وعلى اية حال لم يتمكن توماس من المضي اكثر من ذلك في دراسة حجر الرشيد او النصوص الاخرى .

يعد العالم الفرنسي (جان فرانسوا شامبليون (١٧٩٠ – ١٨٣٢ م)) صاحب الفضل الاكبر

في فك رموز حجر الرشيد وقد اعلن ذلك سنة ١٨٢٢ م فقد صرح للعالم ان بنية الكلمة في اللغة المصرية القديمة لا تقوم على ابجدية وانما تقوم على علامات تعطي القيمة الصوتية لحرف واحد واخرى لاثنين ولثلاثة واكد استخدام المخصصات في نهاية المفردات لتحديد معنى الكلمات وقام بنشر نتائجه هذه عام ١٨٢٤ م تحت عنوان (ملخص لنظام الكتابة الهيروغليفية) [٧٣] .

وهكذا وضع شامبليون اللبنات الاولى في صرح اللغة المصرية القديمة وجاء من بعده المئات من الباحثين الذين اسهموا في استكمال بناء هذا الصرح الشامخ وبمعرفة اللغة المصرية القديمة وطريقة تدوينها بدأ الغموض ينجلي عن الحضارة المصرية القديمة واخذ علم المصريات يشق طريقه بين العلوم الاخرى .

الخاتمة

شهدت مصر احدى اروع الحضارات في العالم التي استطاعت على امتداد سني عمرها الموغل في القدم ان تقدم للعالم اجمع افضل ماجادت به قرائح ابنائها من نبوغ في مجالات شتى سياسية ودينية وثقافية وعمرانية وامور اخرى نجهلها لازالت تنتظر من يخرجها من تحت رمال مصر المحرقة.

كانت بداية الحضارة المصرية لا تتعدى مجاميع بشرية صغيرة تسعى وراء تامين طعامها عن طريق الجمع والالتقاط او الصيد لفي نهاية العصر الجليدي الرابع حيث كانت فيه مصر ذلت مناخ مطير افترش ارضها ببساط اخضر من النباتات .

بعد نهاية العصر الجليدي الرابع تطرف المناخ وانحسرت الامطار فأخذت صحاري مصر تظهر على جانبيها الشرقي والغربي التي دفعت بالحياة ان تتركز حول حوض النيل وصادف ان اكتشف الانسان الزراعة فاصبحت هي الحرفة السائدة في المنطقة . بسبب ندرة الاراضي من جهة وارتفاع الكثافة البشرية من جهة اخرى اصبحت الاراضي الزراعية المنتشرة على ضفتي النيل متقاربة الحدود فيما بينها مما ادى الى ظهور دويلات صغيرة دخلت في صراع فيما بينها حتى توحدت اخيراً في مملكتين هما مملكة مصر العليا وتقع في الجنوب ومملكة مصر السفلى في الشمال . تمكن احد ملوك السلالة الاولى والذي يدعى (منا) من توحيد مملكتي مصر العليا والسفلى في مملكة واحدة . تعاقبت على حكم مصر سلالات عدة بلغ عددها نيف وثلاثين سلالة امتازت كل منها بميزات وخصائص تختلف عن غيرها من السلالات الا ان ابرزها السلالات الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة التي اطلق عليها تسمية عصر الاهرام

والتي اعقبها انحلالا سياسياً وسيطرة الاقطاع ثم عصر المملكة الوسطى ثم يأتي بعدها الانحلال الثاني ثم عصر المملكة الحديثة ثم سقوطها لتدخل مصر بعد ذلك بصراع القوى العالمية عليها حتى استقرت اخيراً بيد الرومان سنة ٣٠ ق.م .

تميزت الديانة المصرية بالتعددية الا انها بالجملة كانت مشتقة من ثلاث مصادر هي :- الشمس ، الارض ، بعض الحيوانات .

بدأ التدوين في مصر منذ عصور قديمة الا انه اتخذ اشكالاً حسب طبيعة النصوص مكتوبة فان كان الخط خاص بالفرعون او الالهة كتب بالخط الهيروغليفي وان كان يخص الكهنة كتب بالخط الهيروطيقي وان كان يخض عامة الناس كتب بالخط الديموطيقي .

جرت عدة محاولات لعلماء عرب ومسلمون حاولوا فك رموز الكتابات المصرية منهم جابر بن حيان وبن وحشية والمقريزي فكانت بداياتهم هذه ملهمة لمن جاء بعدهم من المستتشرقين .

ظلت الكتابة المصرية يكتنفها الغموض حتى عثر مجموعة من الجنود الفرنسيين في (حملة نابليون على مصر) عن طريق الصدفة على حجر من البازلت الاسود في منطقة الرشيد مكتوب عليه بخطوط ثلاثة اثارت اهتمام العديد من المستشرقين ممن يعملون في اختصاصات شتى فكانت محولاتهم الواحدة تكمل الاخرى حتى انتهت اخيراً على يد (جان فرانسوا شامبليون) الذي ازاح الغموض عن اللغة المصرية القديمة واسلوب تدوينها .

الهوامش

١ طه باقر ، مقدمة في الحضارات القديمة ، دار الحرية للطباعة ، (بغداد – ١٩٦٤) ، ج٢ ، ص ١٣ .
٢ طه باقر ، المصدر نفسه ، ص ١٤ .
٣ طه باقر ، المصدر السابق ، ص ١٥ .
٤ عبد الحليم نور الدين ، تاريخ وحضارة مصر القديمة ، دار الاقصى ، (القاهرة – ١٩٩٧) ، ص ١٠١ .
٥ عبد الحليم نور الدين ، المصدر نفسه ، ص ١٠٥ .
٦ طه باقر ، المصدر السابق ، ص ١٦ .
٧ طه باقر ، المصدر السابق ، ص ١٧ .
٨ عبد العزيز صالح ، حضارة مصر القديمة واثارها ، مكتبة الانجلو المصرية ، ط ٣ ، (القاهرة – ١٩٩٢) ، ص ٤٩.
٩ وليم نظير ، العادات المصرية بين الامس واليوم ، دار الكتاب العربي (القاهرة – ١٩٦٧) ، ص ١٢١ .
١٠ وليم نظير ، المصدر نفسه ، ص ١٢٥ .
١١ طه باقر ، المصدر السابق ، ص ٢٠ .
١٢ احمد مالك الفتيان ، محاضرات في التاريخ القديم ،طُبع بجامعة الموصل (د ت) ، ص ٢٥٣.
١٣ عبد العزيز صالح ، المصدر السابق ، ص ٥٣ .
١٤ طه باقر ، المصدر السابق ، ص ٢٢ .
١٥ احمد الفتيان ، المصدر السابق ، ص ٢٥٤ .
١٦ عبد الواحد عبد السلام ابراهيم ، المباديء الاساسية لقواعد اللغة المصرية ، مطبعة المعارف (القاهرة – د ت) ، ص ١٩ .
١٧ عبد الحليم نور الدين ، المصدر السابق ، ص ١٠٧ .
١٨ اندرو روبنسون ، اصوات الفراعنة ، ترجمة رمضان هاشم ، دار المعارف ، (القاهرة – ١٩٩٢) ، ص ٢٧ .
١٩ طه باقر ، المصدر السابق ، ص ٣٩ .
٢٠ باسكال فيرنوس ، الكتابات في مصر القديمة ، ترجمة خالد داود مكتبة الاسكندرية (الاسكندرية – ٢٠٠٥) ، ص ١١٧ .
٢١ مها محمد رشاد محمود ، استخدامات المخصص في نصوص الاهرامات في مصر القديمة ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاثار ، جامعة القاهرة (٢٠٠٧) ،ص ١٧.
٢٢ محرم كمال ، اثار حضارة الفراعنة في حياتنا الحالية ، مكتبة الاسرة (القاهرة – ١٩٩٧) ، ص ٢٤٩ .
٢٣ احمد الفتيان ، المصدر السابق ، ص ٢٦٣ .
٢٤ طه باقر ، المصدر السابق ، ص ٤١ .
٢٥ احمد الفتيان ، المصدر السابق ، ص ٢٦٣ .
٢٦ طه باقر ، المصدر السابق ، ص ٤٤ .
٢٧ عبد العزيز صالح ، المصدر السابق ، ص ٥٣ .
٢٨ احمد الفتيان ، المصدر السابق ، ص ٢٦٤ .
٢٩ طه باقر ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٣٤ .
٣٠ طه باقر ، المصدر السابق ، ص٣٩ .
٣١ عبد الحليم نور الدين ،المصدر السابق ، ص ٣٠ .
٣٢ عبد الحليم نور الدين ، المصدر السابق ، ص٣٣ .
٣٣ عبد العزيز صالح ، المصدر السابق ، ص ١٢-٣٠ .
٣٤ عبد الحليم نور الدين ، المصدر السابق ، ص٣٣ .
٣٥ احمد بدوي ، اللغة المصرية القديمة ، دار المعارف ، (القاهرة – ١٩٨٤) ، ص ٩٤ .

٣٦ المصدر نفسه ، ص ٩٦ .
٣٧ اند وروبنسون ، المصدر السابق ، ص ١٢-٣٠ .
٣٨ جمال الدين عبد الرزاق ، اللغة المصرية القديمة ، رسالة دكتوراة غير منشورة ، كلية السياحة والفنادق ، (جامعة الاسكندرية – ١٩٩٨) ، ص ٤٩ .
٣٩ جمال الدين عبد الرزاق ، المصدر نفسه ، ص ٥٣.
٤٠ عبد الحليم نور الدين ، الخط الهيروطيقي ، (القاهرة – ٢٠٠٧) ، ص ١٣٩ .
٤١ عبد العزيز صالح ، الشرق الادنى القديم ، (القاهرة – ٢٠٠٧) ، مكتبة الانجلو المصرية ، ط٤ ، (القاهرة – ١٩٨٩) ، ص ١٣٩ .
٤٢ عبد الحليم نور الدين ، الخط الهيروطيقي ، المصدر السابق ، ص ١٤١ .
٤٣ المصدر نفسه ، ص ١٤٢ .
٤٤ عبد العزيز صالح ، المباديء الاساسية لقواعد اللغة المصرية، المصدر السابق ، ص ١١٦.
٤٥ عبد الحليم نور الدين ، اللغة المصرية القديمة ، المصدر السابق ، ص ٣٩ .
٤٦ عبد العزيز صالح ، المصدر السابق ، ص ٦٣ .
٤٧ عبد الحليم نور الدين ، اللغة المصرية القديمة ، المصدر السابق ، ص ٤٣ .
٤٨ احمد بدوي ، المصدر السابق ، ص ٥٣ .
٤٩ عبد العزيز صالح، حضارة مصر القديمة ، المصدر السابق ، ص ٣٩ .
٥٠ عبد الحليم نور الدين ، اللغة المصرية القديمة ، المصدر السابق ، ص ٤٤ .
٥١ اندوروبنسون ، المصدر السابق ، ص ٣٨ .
٥٢ احمد بدوي ، المصدر السابق ، ص ٣٣ .
٥٣ عبد الحليم نور الدين ، اللغة المصرية القديمة ، المصدر السابق ، ص ٤٣ .
٥٤ احمد بدوي ، المصدر السابق ، ص ٣٣ .
٥٥ سامح مقار ، اصل الالفاظ العامية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، (القاهرة -٢٠٠٤) ، ص ١٣١ .
٥٦ رمضان عبد التواب ، فصول في فقه العربية ، مكتبة الخانجي ، (القاهرة - ١٩٩٩) ، ص ٧٩ .
٥٧ عبد الواحد عبد السلام ابراهيم ، المصدر السابق ، ص ١٦ .
٥٨ عبد الحليم نور الدين ، المصدر السابق ، ص ٤١ .
٥٩ المصدر نفسه ، ص ٤٢ .
٦٠ احمد بدوي ، المصدر السابق ، ص ٤٤ .
٦١ انطوان ذكرى ، قواعد لغة قدماء المصريين (القاهرة – ١٩٢٩) ، ص ٣٩ .
٦٢ احمد بدوي ، المصدر السابق ، ص ٤٩ .
٦٣ انطوان ذكرى ، المصدر السابق ، ص ٤٨ .
٦٤ المصدر نفسه ، ص ٥٠ .
٦٥ احمد بدوي ، المصدر السابق ، ص ٤٥ .
٦٦ انطوان ذكرى ، المصدر السابق ، ص ٥١ .
٦٧ احمد بدوي ، المصدر السابق ، ص ٤٩ .
٦٨ عبد المحسن بكير ، قواعد اللغة المصرية في عصرها الذهبي (القاهرة – ١٩٧٧)،ص٧٩.
٦٩ المصدر نفسه ، ص ٨٠ .
٧٠ عبد الواحد عبد السلام ابراهيم ، المصدر السابق ، ص ١٨ .
٧١ عبد الواحد عبد السلام ابراهيم ، المصدر السابق ، ص ١٥ .

٧٢ المصدر نفسه ، ص ١٥ .

٧٣ عبد الحليم نور الدين ، اللغة المصرية القديمة ، المصدر السابق ، ص ٤٥ .

قائمة المصادر

١- احمد بدوي ، اللغة المصرية القديمة ، دار المعارف ، (القاهرة – ١٩٨٤)

٢- احمد مالك الفتيان ، محاضرات في التاريخ القديم ،طُبع بجامعة الموصل (د ت)

٣- اندرو روبنسون ، اصوات الفراعنة ، ترجمة رمضان هاشم ، دار المعارف ، (القاهرة – ١٩٩٢) .

٤- انطوان ذكرى ، قواعد لغة قدماء المصريين (القاهرة – ١٩٢٩)

٥- باسكال فيرنوس ، الكتابات في مصر القديمة ، ترجمة خالد داود مكتبة الاسكندرية
(الاسكندرية – ٢٠٠٥)

٦- جمال الدين عبد الرزاق ، اللغة المصرية القديمة ، رسالة دكتوراة غير منشورة ،

٧- كلية السياحة والفنادق ، (جامعة الاسكندرية – ١٩٩٨)

٨- رمضان عبد التواب ، فصول في فقه العربية ، مكتبة الخانجي ، (القاهرة – ١٩٩٩)

٩- سامح مقار ، اصل الالفاظ العامية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، (القاهرة –٢٠٠٤)

١٠-طه باقر ، مقدمة في الحضارات القديمة ، دار الحرية للطباعة ، (بغداد – ١٩٦٤) ، ج٢.

١١-عبد الحليم نور الدين ، الخط الهيروطيقي ، (القاهرة – ٢٠٠٧)

١٢-- ، تاريخ وحضارة مصر القديمة ، دار الاقصى ، (القاهرة – ١٩٩٧)

١٣-عبد العزيز صالح ، الشرق الادنى القديم ، (القاهرة – ٢٠٠٧) ، مكتبة

١٤-الانجلو المصرية ، ط٤ ، (القاهرة – ١٩٨٩)

١٥-- ، حضارة مصر القديمة واثارها ، مكتبة الانجلو المصرية ، ط ٣ ، (القاهرة – ١٩٩٢)

١٦-عبد المحسن بكير ، قواعد اللغة المصرية في عصرها الذهبي (القاهرة – ١٩٧٧)

١٧-عبد الواحد عبد السلام ابراهيم ، المباديء الاساسية لقواعد اللغة المصرية ، مطبعة المعارف (القاهرة – د ت)

١٨-محرم كمال ، اثار حضارة الفراعنة في حياتنا الحالية ، مكتبة الاسرة (القاهرة – ١٩٩٧)

١٩-مها محمد رشاد محمود ، استخدامات المخصص في نصوص الاهرامات
في مصر القديمة ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاثار ، جامعة القاهرة (٢٠٠٧)

٢٠- وليم نظير ، العادات المصرية بين الامس واليوم ، دار الكتاب العربي (القاهرة – ١٩٦٧)